

مالتوسوس ومشاكل السكان في العالم

للأستاذ فؤاد طرزي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

الاختلافات ، في هذه المرحلة التي سبقت عهد مالتوس . فهناك ولادات كثيرة ولكن عدد السكان لا يزال ثابتاً بسبب ارتفاع معدل الوفيات . وهذه هي البلدان التي يمكن إنقاذ النفوس فيها بالوسائل الطبية والصحية ولا يمكن فقدانها إلا بسبب الفقر والجماعة وفق طريقة مالتوس الأصلية . ومع أنه من الصعب أن نشرح بأي قدر من الدقة الظروف التي تحيط بشعب ما وتؤدي إلى اندام الطرق الإحصائية الحديثة فيه ، إلا أنه من المحتمل أنخذ الصين كمثل لتقنيات إحصائيات السكان المتصلة بهذه المرحلة . فنحن نعرف أن الوسائل الطبية والصحية لم تنتشر إلى الآن بين الجماهير الصينية ، ولذلك فإن عدداً من العلماء يشكون في إمكان حصول أية زيادة ثانية بين الشعب الصيني الضخم . وعلى كل فحالة حدوث أي تغير في النسبة المتبادلة بين معدل الولادات ومعدل الوفيات فإن للصين شعباً قاهراً على إحداث زيادة كبيرة حالما تضبط معدلات الوفيات .

وقد ظهر في الماضي أن نمو الشعب الصيني قد جرب الأسلوب الموردي الذي جربه العالم الغربي . حين تسلمت أول عائلة جديدة الحكم شاع السلام واستتب النظام ورجح معدل الولادات على معدل الوفيات بين طبقات الهال المزيدة وبين الجماعات المتقنة . ولكن الصين رغم بلوغها مرحلة عالية من مراحل المدنية لم تسلم على تحمين مواردها الآلية كما فعلت أوروبا ؛ ولذلك بلم فيها عدد السكان حد الإشباع . ثم جاءت المجاعات والثورات والحروب نفقت من ضغط السكان . وقد حدثت دورة مالتوس هذه أربع مرات منذ القرن الثاني بعد المسيح . واليوم تعيش المرحلة الاحتمالية في الصين في حالة سكون فلا يحس خلالها بضغط السكان ولكن من غير أن تنفذ الزيادة فيها كما يحدث في اليابان .

وأما في الهند فإن تنظيم الأساليب الصحية وطرق مكافحة الأمراض الوبائية وتحسين طرق المواصلات واتساع سيطرة القانون والنظام قد ساعد على إحداث هبوط في الوفيات أدى إلى حصول زيادة في السكان مقدارها ٨٣٠٠٠٠٠٠٠ خلال عشرين (من ١٩٢١ إلى ١٩٤١) وهكذا فإن الهند مستعدة الآن لتبرول

لا يتوقع إلا فلائل من الباحثين إمكان الوصول إلى قانون عام في موضوع نمو السكان ينطبق على الشعوب في كل الأزمان ؛ ولهذا نمثل اليوم مشكلة التوازن القسم الأكبر من أعمال الباحثين في مسائل السكان وفي مسائل المواد الغذائية على السواء . ولكن فروض مالتوس كانت بمثابة قنبلة ظلت متفجرة طوال عمود التاريخ من حين نشر هذا العالم نظريته . وإذا كان هناك من يميل إلى إنكار هذه الفروض فيجب عليه تبعاً لذلك أن يطلع على الملاحظة الدقيقة التي أثبتتها لينارد هوبوس والتي قال فيها « إن نظرية مالتوس ذاتها كانت من جملة الأسباب في هزيمة تنبؤاتها فقد كان خرواها أن السكان يتزايدون بسرعة فائقة في الوقت الذي تجري فيه عمليات غير مباشرة تعمل للحد من هذه الزيادة » .

ويظن علماء الإحصاء اليوم بأن نظرية مالتوس تكون أكثر فعالية اعتباراً على ضوء صحتها بصور الدورة الإحصائية العالية وهي المصور التي تمثل مراحل مختلفة مرت بها شعوب ومناطق مختلفة . وقد بذل فرانك نورستين ومساعدوه في جامعة برنستون جهوداً كبيرة لاكتشاف هذه الدورة وترتيب هذه المراحل كما يلي : المرحلة الاحتمالية ، والمرحلة الانتقالية ، وتختل في التجربة الأوروبية الغربية التي شهد مالتوس قسماً منها ، ومرحلة الهبوط الأول ، (وهذه المرحلة لم ترد في نظرية مالتوس) .

يؤمن الأستاذ نورستين بأن ما يقارب نصف سكان العالم هم اليوم في مرحلة التمر الاحتمالي بالتعبير إلى المصور الإحصائية . وإن الشرق الأدنى وجميع آسيا (باستثناء اليابان والاتحاد السوفياتي) والبلدان المتأخرة في جنوب ووسط أميركا لا تزال ، مع بعض

السوفياتي ، حصول زيادة في السكان بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٧٠ تقدر بـ ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ . وقد وصلت روسيا في الوقت الحاضر إلى المرحلة الانتهازية من الدورة ، ودخلت كدولة أوربية في مرحلة المهبوط الأول . وإذا ما استقرينا قوانين السكان وجدنا أن معدل النمو في روسيا لا يفوق معدل الزيادة الكبيرة في نفوس سكان جاره مثلًا تحت ظل النظام الاستعماري الهولندي ، ولكن في روسيا مجالات تعدد جديدة تحتل في الحركة الصناعية النامية بينما سبق لجأوة أن اجتازت الرحلة النهائية من مراحل التطور الاقتصادي الزوامي . وبالإضافة إلى ذلك أن الاتحاد السوفياتي يملك داخل حدوده منطقة بكر واسعة لا تملكها أية دولة كبيرة أخرى وهي منطقة سيبيريا . فليس هناك من شك بأن روسيا تنتظر توسعاً كبيراً في السكان ، ولكن السؤال الذي يدور في بقية أنحاء العالم هو فيما إذا كان في مستطاع روسيا أن تحتفظ بهذه الزيادات داخل حدودها .

وعندما بحثنا الرحلة الثالثة للدورة الكبرى - مرحلة المهبوط الابتدائي - لم نر خلف مالتوس لأن توقف الزيادة وهبوطها لم يكونا معروفين في الفروض المالتوسية . فبلدان أوروبا الوسطى والشمالية الغربية كانت أول المناطق التي دخلت في المرحلة الثالثة ، في حين أن فرنسا والسويد وإسبانيا واستراليا وانكافرا وويلز ستواجه هبوطاً في عدد السكان ابتداء من سنة ١٩٧٠ . أما إيرلندا فقد استعادت كما رأينا قراها ولكنها لم تحقق أية زيادة . ويمكن إضافة ألمانيا إلى هذه المجموعة بسبب خسائرها في الحرب . كما تمانى بولندا فقماً في السكان لم تصان أية أمة أخرى في المصور الحديثة . إلا أن طيبة تكوين شعبها تساعد على المصالح إذا ما توفرت الظروف الاقتصادية الملائمة . ويقول علماء الإحصاء إن شعوب أوروبا الوسطى وأوروبا الشمالية الغربية قد بلغت مرحلة التضخم ، وقد أدى تحديد النسل بينها إلى انخفاض نسبة الشباب بينما رفع هدم مستوى المعيشة من نسبة ذوي الأعمار الطويلة . وما دامت أعمار أغلبية النساء في هذه المنطقة قد تجاوزت معدل الخصوبة فإن ذلك سيحجر وراءه زيادة في طول الأعمار يؤدي إلى توسع إنتاجي إضافي . ففي الولايات المتحدة واستراليا وويلندا الجديدة من الممكن أن تعيش المرأة البيضاء إلى

زيادة أخرى ، ولا توجد حتى الآن دلائل تشير إلى أنها ستتم بالأدوار التي سمت بها كل من فرنسا وإيرلندا .

وقد دخلت اليابان في المرحلة الثانية من مراحل الدورة فحدثت فيها زيادة في السكان أثر انخفاض معدل الوفيات . إن إمكانيات التصنيع قد امتلكت في هذه البلاد بنطاق واسع ثبت منه بأن في إمكان الشرق أيضاً أن يخفض الولادات . ولم يسجل معدل الوفيات في اليابان انخفاضاً ملحوظاً ، بل إن معدل الولادات في الفترة الحالية تحول نحو المهبوط . وقد أظهرت الإحصائيات اليابانية بين ١٩٢٠ و ١٩٤٠ نتائج مشابهة للإحصائيات التي حصلت في إنكلترا وويلز بين ١٨٨١ و ١٩١٠ . وخلال المئتين الذين تخللوا الحربين الأولى والثانية كانت معدلات الوفيات والولادات تشبه تقريباً ميلانها في إنكلترا قبل ٤٠ سنة : وبهذه المناسبة من المهم أن نذكر ، كما يقول الأستاذ فوتستين : « بأن المئتين والتهذيب في اليابان قد قطعاً أشواطاً بعيدة ؛ إلا أن نمو السكان كان من نوع التضاعف الثلاثي في القرن الواحد . وقد حصلت أكثر من نصف الزيادة بعد أن ابتداء معدل الولادات في المهبوط . ومع أن اليابان قد قدمت للعالم مثلاً للتصنيع السريع فإن الانحماز التادم لنمو السكان فيها سيعتمد على المدى الذي ستؤثر فيه الهزيمة على تطورها الاقتصادي . ولكن علماء السكان يقولون بأن النمو لا يزال أفضل فله بين الشعب الياباني .

وإذا عدنا إلى روسيا التي تملك مساحة واسعة من الأرض بين أوروبا وآسيا ، وتلقى فيها خصائص الشرق والغرب المتنوعة التي تتميز بها ظاهرة النمو ، وجدناها تجتبي الآن ثمار النهضة الإحصائية ، لأنها البلاد الوحيدة القادرة على استئلال كل إمكانيات النمو الانتفالي . فقد حصل فيها توسع متنامي كبير ، وانخفض معدل الوفيات بنتيجة التقدم المصنعي والطبي . ولم يتدخل عهد التصنيع في هذه البلاد سوى هبوط طفيف في معدل الولادات ، ومع ذلك فإن هذا المعدل حسب ما هو ملاحظ أخذ في الازدياد ، لأن السياسة القومية تشجع بنشاط للعائلات الكبيرة ، يضاف إلى ذلك أن الوضع الحالي للاتحاد السوفياتي يشير إلى احتمال حصول زيادة في عدد النساء خلال العقود القادمة . ويتوقع فرانك لوردر استخدام في شعب الإحصاء في روسيا في كتابه « سكان الاتحاد

المرية - الصناعات الناجمة من تأثر الطرق الإحصائية الحديثة التي يمكن الاعتماد عليها لتنظيم دراسة متفقة موحدة . وكل ما نستطيع أن نقوله في هذا الصدد هو أن البلاد المربية لا تزال في مرحلة النمو الاحتمالي ، وأن مجتمعاتها مستعدة لتقبل زيادات أخرى نظراً لكثرة الموارد الطبيعية غير المستغلة إلى الآن ، ولا مخططات وسائل الاستغلال الزراعي والصناعي فيها . ولذلك فإن مشا كل السكان الحديثة لا يمكن أن تطبق على هذه المجتمعات إلا بعد أمد طويل نسبياً .

فؤاد طرزي
الحامى

(بغداد)

وزارة المعارف العمومية

« تقبل مطايات بنون حضرة صاحب المزة سكرتير عام وزارة المعارف العمومية بشارع القلبي بمصر عن طريق البريد أو بوضعه باليد في الصندوق المخصص لذلك بإدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم الأحد الموافق ١٩٤٩/٧/٣ عن توريد طباشير أبيض لازم لمدارس الوزارة وفروعها عام ١٩٤٩ - ١٩٥٠ . ويمكن الحصول على الشروط وقوائم المنافسة من إدارة التوريدات بشارع سفينة زفول بمصر مقابل مبلغ ١٠٠ مليم خلاف أجرة البريد .

وتقدم الطلبات على ورقة دسنة من من فئة الملايين ملها .

٢١٤٢

من السابعة والستين ، كما أنه من الممكن أن تستطیع المدينة الأوربية أن تزيد معدل الحياة عشر سنوات أخرى خلال العقدين القادمين وقد كان متوقفاً من دراسة معدلات ١٩٣٥ - ١٩٣٩ أن يبلغ نحو سكان أميركا نهايته حوالى ١٩٨٠ . إلا أن الولايات المتحدة قد خرجت من الحرب العالمية الثانية بأرباح غير متوقعة في النفوس ، وقد فاق الولادات مقدار عدد الضحايا بين الشعب الأميركي الذى لم يدخل بعد مرحلة الهبوط الابتدائي .

وعند هذه المرحلة من مراحل دراستنا سندخل منطقة يعمل عند بلوغها علماء الإحصاء في العصر الحديث إلى وضع إرشادات تجريبية فقط بشأنها . إن معرفة ما يمكن أن يحدث وماذا يستحب أن يحدث ، إذا ما سارت القوى الطبيعية في مجراها الطبيعي ، تدفع الأفراد لأن يستملوا عقولهم وإرادتهم للوصول إلى نتائج أكثر تكيفاً مع حاجتهم ورفاهتهم . وهناك بعض الباحثين لا ينظرون إلى ظاهرة النقص في السكان نظرة جدية ، في حين أن هذه الظاهرة قد بنيت على أسس الاتجاهات التي توجه الوقائع والتوانين . ولكن يتساءل اليوم عن مستقبل التحدث عن التقلبات الاجتماعية التي ستظهر نمل هذه الاتجاهات ؛ إذ أننا نرى أن ظاهرة زيادة السكان من الممكن أن توجه توجيهاً يساير حركات القوى الاجتماعية والاقتصادية التي تمررها . فهل يمكن أن تقل مثل ذلك بالنسبة لشبكة الخوف من نقص السكان ؟ وهل ضبط النسل يمثل ثورة على بعض انحرافات النظام الاقتصادي والصناعي ؟ وهل يمكن أن يوقف إذا ما تحضنت مؤسسات اجتماعية أخرى تحسناً مناسباً ؟ وللإجابة على هذه الأسئلة يجب أن نترك المرحلة النهائية من مراحل دورة السكان مفتوحة ، متفرقة بأنه من المحتمل حصول هبوط مطرد بين السكان يسرى قانونه على البلدان المتقدمة في المدينة الغربية . كما أن هناك بعضاً من الخبراء يستعدون بأن يكون ظهور نوع من أنواع الحركات الميكانيكية توازن بين السكان لتقليل الهبوط الناجم من تحديد النسل .

وإذا ما أردنا أن نطبق هذه التطورات التاريخية على مسائل السكان في الشرق جابهتنا في الحال - وعلى الأخص في البلدان